# النبوة في العهد القديم والنبوة في بلاد ما بين النهرين

د. جاك خليل*

في العهد القديم نتعرّف على أشكالٍ متنوّعة من النبوّة، منها ما لاقى قبولاً في الزمن القديم ولكنّه فقد اعتباره كنبوّة بعد ذلك و لم تدوّن نبوءاته في سفر من الأسفار المقدّسة، ومنها ما دوّن في أسفار دخلت قانون العهد القديم و لم تنفك إلى اليوم تلهم المؤمنين الذين يجدون فيها تعبيراً عن مشيئة الرب، بمثابة معيارٍ يحدّد إطار علاقة الله مع الإنسان.

هل كانت النبوّة في إسرائيل ظاهرة فريدة لا مثيل لها عند شعوب بلاد ما بين النهرين، أم كان بعض مظاهرها معروفاً عندهم؟ وما هي فرادة نبوّات الأنبياء الكتابيّين؟ هذه الدراسة تستعرض أوّلاً بعض المعطيات التي سوف تساعدنا بعد ذلك في الإجابة على هذه الأسئلة.

## النبوّة في إسرائيل

لقد نشأت النبوّة في اسرائيل منذ الأزمنة القديمة ومرّت بمراحل عدّة، وكان لها دائماً الحضور البارز والتأثير الكبير على الفكر اللاهوتي في العهد القديم. يتبين لنا بوضوح ازدهار النشاط النبوي في إسرائيل وتعدد أشكاله من كثرة التسميات التي يطلقها العهد القديم على "الأنبياء"، قبل الأنبياء الكتابيين وفي زمنهم، وكذلك من رفض النبي عاموس تسمية "نبي" و"ابن نبي"، وعدم اعتراضه على لقب חוזה (hالرائي).

**ראה وחוזה** هي ألقابٌ نجدها في الزمن الباكر من تاريخ إسرائيل. لقب **ראה** يرتبط باستلام كلام الرب بواسطة رؤيا، ولقب **חוזה**، الذي يندر استعماله[1]، يتعلّق بإعلان للكلمة الإلهيّة يحصل عادةً في النوم (العميق) خلال الليل، ويصحبه أحياناً اضراب عاطفي، لا تلعب فيه الرؤيا أي دور يذكر[2]. من التسميات المستعملة أيضاً في العهد القديم: "رجل الله" (صموئيل، أليشع)؛ هذه التسمية أطلقت فقط على الشخصيات النبوية الباكرة وتغيب عن الكتب النبوية، أما في سفر الأخبار فإنها تشكل لقباً شرفياً يختص بالرجال العظام. ولكن يبقى لقب "النبي" الأكثر استعمالاً. عندما يرد في المفرد يطلق على شخصيات من الزمن الباكر (موسى، مريم، دبورة، صموئيل، إيليا)، على أنبياء كانوا ذوي نفوذ في البلاط (ناتان، جاد)، وعلى الأنبياء الكتابيين المتأخرين (إرمياء، حبقوق، حزقيال، حجّاي، زخريا)، وفي الجمع يطلق هذا اللقب على مجموعات نبوية (حول صموئيل وأليشع)، كما يشير إلى أعداء الأنبياء الكتابيين (راجع على سبيل المثال ١مل ٢٢، زك ١٣:٢، مرا ٢:١٥، وبشكل خاص في التعبير "الكهنة والأنبياء" الذي يرد حوالي الثلاثين مرة)، وإلى أنبياء البعل (١مل ١٨:١٩-٢٠)[3].

إلى جانب ذلك نقع على مجموعة من التسميات التي تختص "بالنبوة الاستقرائية" التي تستعمل تقنيات للتنبؤ

---

* أستاذ مادة الكتاب المقدس في جامعة البلمند.

(١) H. W. Wolff, *Joel and Amos. A Commentary on the Books of the Prophets Joel and Amos,* Hermeneia, transl. by W. Janzen and others, Fortress Press, Philadelpheia, p. 311.

(٢) *Dictionary of the Old Testament,* ed. by Johannes Botterweek and Helmer Ringgren, transl. by Theological David E. Green, vol. IV, Eerdmans Rapids, Michigan, p. 284.

(٣) Erich Zenger u.a., *Einleitung in das Alten Testament,* Studienbücher Theologie, Bd. 1,1,5. Aufl., Kohlhammer, Stuttgart, 2004, p. 418.

(مراقبة الكواكب وطريقة طيران الطيور وتفسيرها، وتفسير الأحلام إلخ...). فهذا الأسلوب من التبصير كان معروفاً ومنتشراً في البيئة المحيطة، وقد لاقى قبولاً واسعاً في إسرائيل حتى قبل السبي، لكنه اعتبر "نبوة كاذبة" من قِبل الأنبياء الكتابيين لعدم ملاءمة هذه الممارسات الغريبة مع اللاهوت اليهوي[٤].

بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، تطلعنا الكتب النبوية والكتب التاريخية في العهد القديم على وجود فئة من الأنبياء، غير الذين لدينا أسفارهم، كانوا يدّعون التنبؤ باسم الرب. وقد فاق عددهم بدون شك عدد الأنبياء الكتابيين، وكذلك كان قبولهم من المجتمع أوسع[٥]. هؤلاء كانوا "أنبياء خلاص"، أي أنهم كانوا يسعون لتهدئة الوضع الديني في الدولة ويبشرون بمساعدة الرب للملك، بينما نرى الأنبياء الكتابيين ينتقدون الحاكم والمجتمع ويعلنون قرب الدينونة والهلاك. بما أن الأحداث التاريخيّة قد برهنت مصداقيّة المتنبئين بالهلاك لا المتنبئين بالخلاص، حُفظت أقوالهم لكي تشكل نواة الأسفار القانونية التي تحمل أسماءهم[٦].

## النبوّة في البيئة الاجتماعيّة المحيطة بإسرائيل

نجد أيضاً في العهد القديم نفسه شهادات على وجود النبوة خارج إسرائيل. نذكر على سبيل المثال بلعام "الرائي" (عد ٢٢:٢٤، راجع يش ١٣:٢٢) الذي نصادف اسمه في كتابة على حائط في تل دير علا شرق الأردن، حيث يُذكر أن بلعام تسلم كلمة الإله بواسطة رؤيا. وإيليا النبي واجه أنبياء البعل الأربعمئة والخمسين (١مل ١٨:٨) وإرمياء النبي هاجم بشدّة أنبياء الملوك المجاورين (أنظر إر ٩:٢٧).

كذلك تؤكّد المعلومات المتوفرة اليوم من خلال النصوص المكتشفة وجود نبوة في البيئة الاجتماعية المحيطة بإسرائيل، في مصر وكنعان وفينيقيا وبلاد ما بين النهرين، تحتوي على عناصر أساسية مشابهة لخصائص النبوة في العهد القديم[٧].

هنا تجدر الإشارة إلى تلك النصوص من بلاد مابين النهرين التي يطلق عليها الدارسون تسمية "نبوة"، بينما يتبين من مقارنتها مع النبوة في العهد القديم عدم صحة وضعها في هذه الخانة. نذكر منها على سبيل المثال:

١) نبوءة مردوك،
٢) نبوءة شُولجي،
٣) نص KAR 421 الآشوري،
٤) النبوءات على الألواح الفخارية من أوروك،
٥) النبوءات الملكية من فترة حكم السلوقيين.

فبحسب رأي Erich Zenger، كل هذه النصوص تكتسب اعتبارها نبوءات من خلال ادعائها بأنها تشكل تحقيقاً لكلام إلهي سابق، ولكن لا يعود أي نص منها إلى إعلان خبر كاتبها... كما أنه لا توجد أي إشارة إلى إرسال من الآلهة لإيصال إعلان عن الأمور المستقبلية إلى شخص معين أرسل النص إليه، أو إلى جمهور من المستمعين... لا يوجه الحديث مباشرةً إلى شخص مرسل إليه، أو إلى جمهور من الأشخاص، باستثناء "نبوءة مردوك"

(٤) Erich Zenger u.a., *Einleitung ...*, p. 418.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) يجد القارئ معلومات وافرة عن هذا الموضوع في:
Herbert B. Huffmon, "Prophecy in the ANE", *IDBSup,* 697-700. John C.L. Gibson, *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions 2,* Clarendon, Oxford, 1975, pp. 8-9. J. Hoftijzer and G. van der Kooij, *Aramaic Texts from Deir Alla,* Documenta et Monumenta Orientis Antiqui 19, Brill, Leiden, 1976, pp. 173. 179.

(حيث يتعلق الأمر بالآلهة)، هذا إلا إذا اعتبرنا أن النصوص تفترض بالطبع وجود قارئين لها، وهذا ما ينطبق على أي نص مكتوب[٨].

## نصوص نبويّة من بلاد ما بين النهرين

إن النصوص الآتية من بلاد ما بين النهرين والتي تحتوي على خصائص النبوّة الأساسية، أي الاستلام الحدسي لكلمة إلهية مع إرسال إلهي لإيصال الكلمة، هي التالية[٩]:

١) حوالي ٣٠ رسالة بابلية قديمة من ماري تعود إلى القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م.، تخبرنا عن أنبياء ونبيات صارت إليهم كلمة الآلهة (أو أُبلغوا معلومة من الآلهة) بواسطة إعلان اختبروه (في الحلم، في نشوة روحية، في رؤيا، أو سماعاً) وأُرسلوا من قِبل الآلهة في أغلب الأحيان لإبلاغها إلى الملك. هذه النبوءات تنقل عادة رسالة خلاص (تؤكد دعم الآلهة للحكم ومساعدتها في الحرب ضد الأعداء). كما ينتقد مرسلو الآلهة بشدة إهمال عبادتها. يغيب عن هذه النبوءات انتقاد المجتمع كما نعرفه عند أنبياء الكتاب المقدس.

٢) نبوءات الإلهة كيتيتوم، وهي إلهة محلية توازي عشتار، ألموجهة إلى ملك إشُونّا إيبالبيال الثاني، في القرن الثامن عشر.

٣) في صلاة مورشيليس الثاني الحثي (القرن الرابع عشر ق.م.) للحماية من الطاعون، وفي صلاة أخرى للملك إلى إلهة الشمس أرِنّا (القرن الرابع عشر ق.م.) نجد معلومات عن كلام أعلنته الآلهة بواسطة نبي من خلال رؤيا.

٤) ثمة ثلاثون لوحا تقريبا من الفخار تعود إلى فترة حكم أسرحدّون (٦٨١ – ٦٦٩ ق.م.) وآشوربنيبال (٦٦٩–٦٢٩ أو ٦٢٧ ق.م.)، كتبت عليها نبوءات (تعرف باسم "النبوءات الآشورية الحديثة")، تنبأ بها أنبياء ونبيات، بعضهم شغل وظيفة في الهيكل وبعضهم عمل في قطاعات أخرى غير دينية. تظهر هذه النصوص بعض الخصائص المشتركة التي تميزها عن سائر آداب العرافة والتكهنات. أولاً، هي بأجمعها عبارة عن خطاب مباشر للإله إلى شخص معين أو إلى جمهور واسع، بواسطة شخصية تسمى بالاسم في أغلب الأحيان. إلى ذلك تشير هذه النصوص على درجة مختلفة من الوضوح إلى أحداث تاريخية. ثانياً، ليس لها أية صلة بالطرق الاستقرائية مثل مراقبة الذبيحة أو النجوم، إلخ، بل تّعرف عن ذاتها على أنها حصراً إخبار مباشر من الله، دون اتباع أية تقنية[١٠]. وكما نبوءات ماري كذلك النبوءات الآشورية الحديثة هي "نبوءات خلاص" لمصلحة الملك، الذي تهتم الآلهة بخيره وتوافق على إطالة عمره واستمرار سلالته. في النبوءات الآشورية الحديثة أيضاً توجد انتقادات ضد إهمال العبادة.

## مقارنة بين النبوءات الكتابيّة ونبوءات بلاد ما بين النهرين

إن المقارنة بين نبوءات بلاد ما بين النهرين والنبوءات الإسرائيلية تؤدي إلى عدّة استنتاجات:

١) لا يمكن التغاضي عن التشابه بين نبوءات بلاد ما بين النهرين

(٨) Erich Zenger u.a., *Einleitung* ..., p. 423-424.

(٩) لمزيد من المعلومات عن هذه النصوص راجع:
M. Nissinen, "Die Relevanz der neuassurischen Prophetie für die alttestamentliche Forschung", in: *Mesopotamica - Ugaritica - Biblica:* Festschrift für Kurt Bergerhof, hrsg. von Manfried Dietrich u. Oswald Loretz, AOAT 232, Neukirchener Verlag, Neukirchen-Vluyn, 1993, pp. 217-258; M. Weippert, "Aspekte israelitischer Prophetie im Lichte verwandter Erscheinungen des Alten Orients", in: *Ad bene et fideliter seminandum:* Festgabe für Karlheinz Deller, hrsg. von Gerlinde Mauer u. Ursula Magen, AOAT 220, Neukirchener Verlag, Neukirchen-Vluyn, 1988, 287-319.

(١٠) M. Nissinen, "Die Relevanz...", p. 220.

ونبوءات البلاط والهيكل في إسرائيل، بل بالأحرى تساعدنا نبوءات الشرق القديم على تقييم "نبوءات الخلاص" في العهد القديم بشكل صحيح.

٢) يتّسم أنبياء إسرائيل المعارضون بحدّة فائقة إذا ما نظرنا إليهم على خلفية نبوءات بلاد ما بين النهرين. فإننا لم نجد إلى الآن في هذه الأخيرة أية مشاكل مستفحلة بين الأنبياء والملوك أو الدولة بشكل عام، وفي الحالات القليلة التي نصادف فيها انتقاداً ما، يكون متصلاً بالعبادة لا بالمسائل الاجتماعية والأخلاقية[١١].

٣) في نبوءات بلاد ما بين النهرين تغيب الأقوال النبوية عن الدينونة، التي تشكل خاصة مهمة من خصائص أنبياء العهد القديم[١٢].

٤) لا نجد أيضاً أي دليل يشير إلى أن أنبياء الشرق القديم كانوا يقلقون على مصير الشعب كما هي الحال في العهد القديم[١٣].

٥) أخيراً، مع أنه قد تم جمع أقوال نبوية في بلاد ما بين النهرين، إلا أنها لم تصر أبداً نقطة انطلاق لتشكيل تسليم، كما في "التفسير النبوي للنبوءات" التي في كتب العهد القديم النبوية[١٤]. تقدم لنا كتب الأنبياء الأمور الجوهرية في النبوءات، التي لا تتصل أهميتها بزمن نشاط النبي وحسب، بل أيضاً وعلى الأخص بالزمن اللاحق له. لهذا جمعت أقوال الأنبياء على يد تلامذتهم ودوّنت، ووضعت في إطار أدبي لاهوتي حتى بعد وفاة النبي، وقام التلامذة بتصليحها وتأوينها لقناعتهم بأن كلام الله الذي تنبأ به النبي مرة يبقى مهماً وملائماً. هذه الآنيّة المستمرة لنبوءات العهد القديم تتحقق إذن بواسطة الأسفار التي كان نشاط الأنبياء سبب تدوينها. فما يميّز النبوة في العهد القديم عن النبوة في بلاد ما بين النهرين ليس هو فقط نشاط النبي تاريخياً بل الأسفار التي كتبت عنه والتي تقدم تفكيراً في رسالتهم مجدّدةً دائماً آنية رسالتهم.

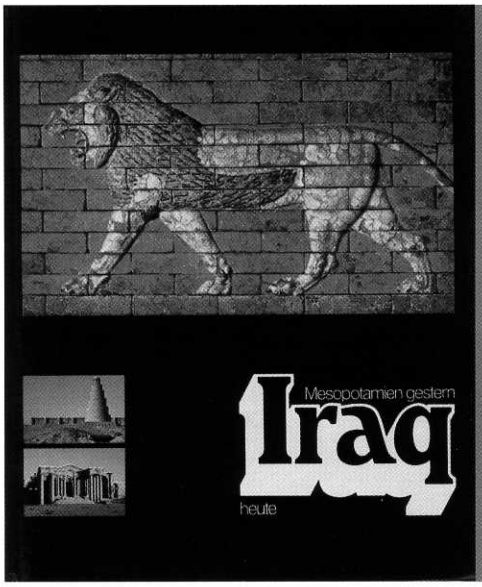


(١١) Erich Zenger u.a., *Einleitung ...*, p. 424.

(١٢) المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) Erich Zenger u.a., *Einleitung ...*, p. 425.